مظاهر التأثير والتأثر بين الحضارتين الإسلامية والصينية

د. أسامة عبد السلام محمد منصور

مدرس التاريخ والحضارة بكلية الدراسات العربية جامعة نينغشيا – الصين

مقدمة

عرف العالم منذ القدم حضارات مختلفة، نشئت بينها علاقات سادها الود أحيانا وأحيانا أخرى صراع وصدام مرده إما الحرص على الزعامة والسيادة وإما الدفاع عن البقاء. لكن تبقى العلاقة بين الحضارتين العربية الإسلامية والصينية ذات طابع خاص مختلف؛ إذ أنها على مدى تاريخها تميزت بكونها ودية لم يشبها شائبة صراع أو خلاف جوهري –إلا فيما ندر– مما جعلها نموذجا فريدا للعلاقات بين الأمم.

وقد كانت التجارة من أهم وسائل نقل المؤثرات الحضارية وتبادلها، حيث كانت وما تزال لهم مظاهر العلاقات البشرية والمعبر الذي حمل النماذج الحضارية بين البلدان المختلفة، وهي التي هيأت لمزيد من التفاعلات الحضارية بينها. كذلك كان للتجارة الدور الكبير في تطور علم الجغرافيا وعلو البحار واكتشاف البلاد ومعرفة حدودها ومواردها ومنتجاتها وعاداتها وتقاليدها.

كذلك كان لها دور في نشوء مظاهر أخرى للعلاقات البشرية تمثل في استيطان التجار واستقرارهم في البلاد التي زاروها وتزاوجهم مع أهل تلك البلاد؛ مما خلف تأثيرا متبادلاً في شتى جوانب الحياة سواء في الجانب الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي أو الحضاري.

وقد تجسد هذا الأمر بصورته الكاملة في حالة العلاقة بين بلاد العرب والصين، فقد كانت التجارة هي العامل الرئيس في معرفة العرب بالصين والعكس، وكان وصول التجار العرب إلى الصين قد حدث منذ وقت مبكر في التاريخ. وكانت العلاقة بين العرب والصينيين في طورها الأول قائمة على تبادل الحاجات، ثم تطورت إلى تبادل مصالح، ثم إلى تبادل ثقافات وأفكار تحول إلى تبادل مؤثرات حضارية متكاملة، خاصة عندما تقاربت حدود الدولتين.

سأسعى خلال هذا البحث إلى إبراز التأثير المتبادل بين الحضارتين العربية الإسلامية والحضارة الصينية في مناحي الحياة المختلفة، راجيا من المولى عز وجل التوفيق والسداد.

المبحث الأول

وصول الإسلام إلى الصين

متى كان أول اتصال بين العرب والصين ؟!

تحفظ لنا المصادر التاريخية الصينية سجلاً لأول وفد دبلوماسي من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الصين، فتقول: في سنة 651 قام ملك "تاشي Tashi"[1] ولأول مرة بإرسال مبعوث محمل بالهدايا إلى بلاد الصين؛ معلنًا

---

(1) **تاشي:** تعددت الآراء حول أصل كلمة تاشي ونسبتها إلى العرب، فيقول مارشال برمهوول في كتابه "الإسلام في الصين": إن كلمة تاتشي معناها تاجر باللغة الفارسية، ولأن الصينيين عرفوا العرب من خلال التجارة، فربما أطلقوا هذا الاسم على العرب، كما يذكر رأيًا آخر فيقول: إن كلمة تاشيه مأخوذة من اللغة الآرامية (تايي Tayyi) وتعني " بدويًا " . للمزيد انظر :

Marshal BromHall: Islam in China Neglected Problem, London, Morgan and Scoots, 1910, p. 13 .

أن العرب قد انتظموا تحت إمرة ملك واحد قبل 34 سنة تعاقب خلالها ثلاثة ملوك، وأن ملكهم يلقب بـ: " Damimumuni"[(1)].

وقد أيدت أغلب الكتب الصينية هذه الرواية لأن أحداثها لا تخالف الواقع والحقائق، وهي بالنسبة لنا تعد منطقية، فعام 651م يوافق عام 30هـ في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفانρ، وقد كانت قوة العرب في ذلك الوقت قد وصلت إلى أوج عظمتها، وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى أواسط آسيا وبلاد السند .

المبحث الثاني :

التأثيرات المتبادلة بين الصين والعرب في الناحية الاقتصادية :

كان الجانب الاقتصادي هو الوسيلة الأولى للتعارف بين العرب والصين وكانت التجارة هي المحرك الفاعل في هذا المجال. وقد سبق أن أشرت إلى أهمية التجارة بين بلاد العرب والصين وأن العلاقة التجارية بين الجانبين كانت أسبق من ظهور الإسلام، لكنها بعد ظهور الإسلام توثقت وتوسعت وخاصة بعد وفود أعداد كبيرة من التجار العرب إلى مدن الصين الساحلية وما اشتهر عنهم من صدق وأمانة وحُسن تعامل؛ الأمر الذي كان له أثره في اطمئنان الصينيين لهم والسماح لهم بالسكنى والتجارة ؛ فازداد عددهم وكثرت تجارتهم وذاع صيتهم ليس لدى العامة فقط وإنما لدى السلطة الحاكمة أيضا، فسعت للاستفادة منهم ومن خبراتهم التجارية وسنت القوانين لحمايتهم وتنظيم حياتهم وفق شريعتهم.

وقد اوردت المصادر الصينية جهود السلطة الحاكمة في الصين آنذاك للاستفادة من خبرات المسلمين في مجال التنظيم والإدارة ذات الصلة بالأمور التجارية والمالية، ومن ذلك إصلاح نظام الضرائب وتحصيل الإيرادات الجمركية المفروضة على التجار الأجانب، ولهذا الغرض أنشئت إدارة جديدة عرفت باسم " تسه يو تشي" (zei ue chi) أي (إدارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية) وقد أنشئت أولا في" كانتون[2]ثم في المدن الأخرى مثل " تشيوانتشو[1] ويانغتشو[2]، وهانغتشو[3]

هناك آراء أخرى ذكرت أن كلمة تاشي مأخوذة من كلمة (تاز) الفارسية، وتعني (عمامة) ، وقد أطلق الصينيون هذا الاسم على العرب لأنهم يلبسون العمائم؛ إلى جانب آراء أخرى لا يسع المقام ذكرها.

للمزيد انظر: سونج كيونج كون: الإسلام في الصين خلال القرنين الأول والثاني الهجري، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ، 1409هـ – 1988م، ص 17، 18، 19.

(1) تاريخ تانغ القديم، الفصل 198 ، ص 17 .

Damimumuni هي على الأرجح لفظة محرفة من كلمة "أمير المؤمنين" . الباحث.

[2] كانتون **قوانغتشو** : حاضرة مقاطعة قواندونغ، وهي أكبر مدينة بجنوب الصين، والمركز السياسي والاقتصادي والثقافي بالمقاطعة، وكانت قديما تسمى "كانتون" وسماها ابن بطوطة "خانفو" عندما زارها في رحلته الشهيرة. وتبلغ مساحتها 16675كم^2، وتعتبر قوانغتشو قاعدة صناعية هامة في قواندونغ، والبوابة الكبرى بجنوب الصين، ويقام بها معارض سنوية دولية للمنتجات والصادرات الصينية ، يؤمها تجار ورجال أعمال من كافة دول العالم .

للمزيد انظر : شيو قوان : جغرافيا الصين، ترجمة محمد أبو جراد، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، 1987م، ص 150 .

وكانت وظيفة هذه الإدارة هي التفتيش على السفن القادمة والذاهبة وجباية الرسوم على البضائع الواردة على اختلاف أنواعها بمقدار يتراوح ما بين 10 إلى 25 % حسب أصناف البضائع ودرجاتها من قيمة البضاعة، وكانت العادة أن يتولى هذه الوظيفة الهامة رجل مسلم من العرب أو الإيرانيين له معرفة تامة بأوضاع التجارة البحرية وخفاياها، وله صلة وثيقة بالتجار العرب والإيرانيين[4]

وكان من أشهر من تولوا هذه الوظيفة المرموقة " أبو علي إبراهيم والذي أطلقت عليه المصادر الصينية اسم "pu shou ging" وهو على الأرجح" أبو السوقين" ويقصد بالسوقين سوق قوانغتشو وسوق تشوانتشو[5].

وكان أبو السوقين من العرب الذين وصلوا الصين واستوطنوا بكانتون وكان هو وأخوه الأصغر يشتركان في تأمين سواحل "فوجيان"[6]، حيث كثر لصوص البحر وهددوا سلامة اموال التجار وحياتهم؛ فترقى بسبب هذه الخدمة الجليلة إلى منصب مراقب سواحل فوجيان، ثم إلى منصب أمين الأمور البحرية على ولايتي كانتون وفوجيان وهو مراقب عام على السفن والمراكب[7]

---

[11] **تشوانتشو** موطن كثير من المغتربين الصينيين ، وهي مدينة عريقة تكثر بها الآثار التاريخية التي تتعلق بالروابط مع البلدان الأجنبية في الأزمنة القديمة ، وهي الآن تقع في مقاطعة فوجيان على الساحل الجنوبي الشرقي للصين .

للمزيد انظر : شيو قوانغ : جغرافيا الصين ، ص 128 .

[2] **يانغتشو** : أحد المدن الساحلية في الصين، والتي كانت قديمًا أحد مراكز التجارة بين العرب والصين، وهي الآن مدينة (إيوو) الشهيرة ، وتقام فيهما سنويًا معارض يؤمها تجار من كل مكان .

[3] **هانغتشو**: حاضرة مقاطعة تشجيانغ على الساحل الجنوبي الشرقي للصين، وهي مدينة سياحية، وكانت عاصمة للصين في عهد أسرة سونغ الجنوبية (1127 – 1279م) ، زارها ابن بطوطة وسماها في رحلته "الخنساء" وهو تحريف لاسم هانغتشو وهي اليوم مدينة صناعية، وتشتهر بالمناظر الخلابة، وبالآثار التاريخية.

للمزيد انظر : شيو قواي: جغرافيا الصين، ص 122 .

[4] بدر الدين حي الصيني: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، 1394هـ/11974م،صـ24.

[5] جعفر كرار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين منذ ظهور الإسلام وحتى اوائل القرن العشرين، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد 92، رمضان 1419/يناير 1999،صـ156.

[6] فوجيان :إحدي مقاطعات الصين وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي وتواجه تايوان عبر مضيق تايوتن وتبلغ مساحتها أكثر من 120000 كم مربع، وتشتهر بالمحاصيل الزراعية الكثيرة وأهمها قصب السكر والشاي كما تشتهر بالمعادن مثل الفحم والحديد والنحاس وغيرها. ومن أشهر مدنها مدينة "فوتشو" حاضرة المقاطعة و أحد أهم الموانئ في الصين، وكذلك مدينة " شيامن" وهي مدينة صناعية مشهورة ، ثم مدينة تشوانتشو التي سبق الحديث عنها.

للمزيد فضلا انظر : شيو قوانغ : جغرافيا الصين ، ص 128 .

[7] بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين، صـ166؟

كذلك كان من الشخصيات المسلمة التي كان لها دور كبير مجال الاقتصاد " سعد الدين تيان شي " فقد تولى منصبا اقتصاديا هاما في منطقة "تشيجيانغ"[1] سعى فيه لانعاش الاقتصاد المحلي وتطويره وتنشيط السوق، كذلك قام بتحديد المقاييس والمكاييل والموازين لضمان الاستقرار المالي وكبح غلاء الأسعار[2].

وإذا تركنا الشخصيات الإسلامية التي كان لها دور بارز وهي كثيرة، فإننا سنجد تأثيرات أخرى في مجال التعامل التجاري، فقد استخدم الصينيون النقود الفضية لأول مرة بعد تعاملهم مع المسلمين، وكان الصينيون قبلها يستخدمون النقود الذهبية والنحاسية فقط، بينما استخدمت الفضة للزينة، لكنهم بدأوا في اصدار عملات فضية نتيجة تأثير التجار المسلمين الذين كانوا يستخدمون الدنانير الذهبية والدراهم الفضية في تعاملاتهم مع الصينيين[3].

البضائع المتبادلة :

كان تبادل البضائع والمنتجات بين بلاد العرب والصين له دوره في إثراء العلاقة بين الجانبين، وقد أوردت المصادر العربية والصينية أهم السلع التي كان يحملها العرب إلى الصين والتي كانت تضم : التوابل، لبان يافا، الزهور البستانية، الصمغ الأصفر، جلود الإبل، الطلاء، دم التنين، عين القط، العنبر، العطور، أملاح البوراكس التي كانت تستخدم في صناعة الصابون والزجاج، الكريستال، الزجاج بأنواعه الشفاف والمعتم،وصمغ الأسفوتيد المستخدم في العقاقير الطبية وغيرها.

اما البضائع الصينية التي كانوا يعودون بها فكانت تضم الحرير، الذهب، الفضة، الصفيح، الملابس، والخزف المسك الذي كان يجلب من بلاد التبت[4].

الصناعة :

إسهامات الصينيين في مجال الصناعة وتأثر المسلمين بها:

قد يستبعد القارئ ان تكون هناك عوامل تاثير وتأثر بين الصين والعرب في هذه الناحية، لكن المصادر التاريخية تمدنا بادلة كافية على انه ثمة علاقة واضحة في هذا الجانب تمثلت اولاً في صناعة الورق التي اخذها العرب عن الصين وفي صناعة البارود واستخدماته التي اخذها الصينيون عن العرب ، ثم في صناعة الخزف والفخار والمنسوجات الإسلامية التي ظهر اثر الصين فيها واضحاً، ثم الرسوم والصور والألوان وأخيرا صناعة الحجار الكريمة.

الورق : أكدت المصادر التاريخية بما لا يدع مجالا للشك أن العرب قد اخذو هذه الصناعة عن الصين بعد المعركة الشهيرة المعروفة باسم " معركة تالاس"[1] بين الصينيين والعرب – والتي تكاد تكون المعركة

---

[1] مقاطعة تشيجيانغ : أو " أرض الحرير" كما يسمونها، تقع على الساحل الجنوبي الشرقي ومساحتها اكثر من 100000 كم مربع وطول ساحلها 2200 كم، وتشتهر بالمحاصيل الزراعية كما تعتبر قاعدة هامة في الثروة السمكية حيث يوجد أرخبيل تشوشان الذي يُعد أكبر منطقة لصيد الأسماك في الصين. ومن أشهر مدنها مدينة "هانغتشو" حاضرة المقاطعة وقد سبق التعريف بها سابقا ومدينة "نينغبو" ومدينة "ونشو". للمزيد فضلا انظر : شيو قوانغ : جغرافيا الصين ، ص 119 .

[2] محمود يوسف لي هوا ين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين،دار الهلال الأزرق، هونغ كونغ، الطبعة الأولى، 2003، صـ15.

[3] سونج كيونج كون : الإسلام في الصين، صـ 152،151.

[4] جعفر كرار أحمد : العلاقات التجارية بين شبه الجزيرة العربية والصين، صـ155.

الأولى والأخيرة بين الصين والعرب على مر التاريخ– والتي قاد فيها "زياد بن صالح"[2] الجيش الإسلامي في مواجهة جيش الصين وانتهت بانتصار حاسم للعرب و أُسر عدد كبير من جيش الصين كان من بينهم صناع ورق مهرة ؛ فاستخدمهم العرب لإنشاء أول مصنع للورق في سمرقند، ثم راجت هذه الصناعة في الممالك الإسلامية و انتشرت منها إلى أوربا[3] .

والذي اخترع الورق حسب رواية مشهورة عند الصينيين هو "تساي لون" وهو من اهل "هانغتشو" وقد عاش في القرن الأول الميلادي، وكانت أشجار التوت تنمو بكثرة في ذلك المكان فكان يصنع الورق من قشورها؛ فعمت تلك الصناعة في بلاد الصين وانتفع أهلها بها، فلما حصل الاتصال السياسي بين الصين والعرب؛ نُقلت هذه الصناعة ثم انتشرت سريعا في البلاد الإسلامية الأخرى، حتى قيل ان الورق كان يباع في سوق بغداد سنة 178هـ/794م. وقد وجدفي متحف باريس بعض النماذج للأوراق المصنوعةببغداد لذلك العهد وعليها كلمات عربية وحلول لمسائل رياضية ويرجع تاريخ هذه القطعة لعام 170هـ، ويحتفظ متحف لندن ببعض نماذج لهذه الأوراق[4].

البارود :

هناك خلط واضح بين الناس فيما يخص اكتشاف البارود واستخدماته ، فالصينيون يعتبرون انهم اول من اخترع البارود والعرب يؤيدون هذا الرأي لكن الخلاف يتمثل في استخدامات البارود، وقد حسم عدد من المؤرخين الصينيين هذه المسألة عندما اكدوا ان تاريخ الصين يذكر عكس ذلك، فالذي كان معروفا عند الصينيين منذ زمن قديم شيء غير البارود يسمى "صواريخ نارية" كانوا يستخدمونها في المناسبات كالأفراح

---

[1] معركة تالاس أو طراز : معركة وقعت بين الجيش العربي وجيش الصين بالقرب من بلدة تالاس او طراز وهي بلدة تقع في اقصى بلاد الشاش " طشقند عاصمة أوزبكستان حاليا" وكانت بلدة طيبة الهواء كثيرة الخيرات. للمزيد فضلا انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1990، ج4، صـ30.

اما المعركة فكان بسبب رغبة الصين في إعادة بسط سيطرتها على بلاد ما وراء النهر خاصة بعد توغل الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد وخاصة في إقليمي فرغانة والشاش، وبسبب الخلافات الداخلية بين الأمراء الأتراك واستنجاد بعضهم بالمسلمين والبعض الأخر بالصينيين. للمزيد فضلا انظر : بارتولد فاسيلي فلاديمير وفتش : تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية ، صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ط1، 1981.

[2] زياد بن صالح الحارثي الخزاعي : احد قادة الجيش العباسي، ولي الكوفة سنة 132هـ، ثم دخل في خدمة أبي مسلم الخراساني فأرسلة للقضاء على ثورة اهل بخارى سنة 133هـ ، وقاد جيوش المسلمين في معركة تالاس ضد جيش الصين وانتصر عليهم، ثم اعلن التمرد والعصيان على أبي مسلم قائلا:" لقد بايعناهم على العدل .. وما أبو مسلم إلا جائرا ظالما افسد قلوب أهل خراسان" لكن أستطاع ابو مسلم ان يظفر به وقتله سنة 135هـ. للمزيد فضلا انظر : ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م) : الكامل في التاريخ، دار صادر ، بيروت، 1979، الجزء 5، صـ405، صـ440، صـ445.

[3] الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1037م)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياريو حسن كامل الصيرفي، القاهرة 1379هـ، صـ218.

[4] بدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين،صـ245–246.

والمآتم[1]، اما البارود واستخداماته الحربية فلم يعرفه الصينيون إلا بعد بواسطة المغول في القرن الثالث عشر للميلاد. ويجزم الأستاذ بدر الدين الصيني ان المغول قد عرفوا استخدامات البارود الحربية بعد احتكاكهم بالمسلمين، ويورد على ذلك أدلة كثيرة لا يتسع المجال لذكره[2]ا

الفخار :

استفاد المسلمون منذ فترة مبكرة من خبرات الصينيين في صناعة الفخار وفي الصناعات المشابهة مثل صناعة الخزفيات والحرير والقطن والسجاد والمنسوجات بأنواعها، وكذلك صناعة الزجاجيات وزخرفتها، فكانت البداية عبر تقليد ومحاكاة الحرفيين والصناع المسلمين للصناعات الصينية التي أصبح لإنتاجها أماكن خاصة في الحواضر الإسلامية، وبعد أن أتقن الصناع تقليدها ومحاكاتها أصبحت منافسا قويا للمنتجات الصينية مما قلل كثيرا من تدفقها إلى مراكز التجارة وأسواقها في تلك الحواضر[3].

و من الشواهد الدالة على هذا التأثير مع عُثر عليه من أوان فخارية وقطع من الفخار الصيني في مدينة سامراء العراقية يرجع تاريخها إلى عصر أسرة تانغ[4] ، ووجد معهاأوان إسلامية صُنعت على شاكلة الأواني الصينية[5].

وقد ساق الأستاذ زكي محمد حسن عشرات الأمثلة في هذا السياق والتي توضح مدى تاثر المسلمين بالصينيين في هذا الجانب ، لكن المقام لا يسع لذكرها.

المنسوجات:

وفي صناعة المنسوجات بانواعها الحريرية والقطنية والصوفية كان أثر الاحتكاك الحربي في موقعة تالاس مهما في تعريف المسلمين بخبرات الصينين وتقنياتهم في هذه الصناعة، وكان دور الأسرى الصينيين اكثر اهمية في نقل تلك الخبرات وتعليمها للصناع والحرفيين المسلمين، ولعل أشهر هؤلاء الأسرى هو "دو هوان 杜环 du huan" وهو احد العلماء الذين رافقوا الجيش الصيني فوقع في الأسر ونقل إلى العراق ومضى بها إحدى عشر عاما، سجل خلالها كل ما رآه في كتاب قيم سماه " جينغ شينغ جي 经行记" أي " مذكرات في ديار الغربة"[6].

وكان مما ذكره "دو هوان" في كتابه في معرض حديثه عن مدن العراق حين ذكر الكوفة فقال إن بها أربعة صناع صينيين هم " فان سو، ليو جي، لو هوان،و ليولي" وكانوا يعلمون أهل الكوفة صناعة الأقمشة الحريرية والصياغة والتصوير[7].

---

[1] مازال الصينيون إلى اليوم يستخدمون هذه المفرقعات في المناسبات المختلفة في الأفراح والأعياد وحتى في المآتم حيث يحيطون الميت بسلسلة من هذه المفرقات ثم يشعلونها بالنار فتصدر صوتا عاليا وبعدما تنتهي يحملون الميت إلى حيث يشاءون إما للحرق أو الدفن.

[2] بدر الدين الصينيي : العلاقات بين العرب والصين، صـ247–251.

[3] زكي محمد حسن : الصين وفنون الإسلام مطبعة المستقبل، القاهرة، 1941م،صـ34،33.

[4] بدر الدين الصيني: العلاقات بين العرب والصين، صـ253.

[5] زكي محمد حسن : الصين وفنون الإسلام، صـ34،33.

[6] قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية، صـ26.

[7] بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين، صـ259.

لكن هذا التأثير بلغ اوج قوته في فترة الحكم المغولي للصين عصر أسرة يوان[1]، حيث جرت عادة المغول على حمل الحرفيين من المناطق التي قهروا اهلها للعمل لحساب الفاتحين في الورش والمؤسسات كعبيد، وكانت منتجاتهم ذات جودة عالية وتحظى بإقبال شديد من جانب نبلاء المغول وكذلك التجار الأجانب[2].

ولا ننسى تبادل المنسوجات الذي كان يتم إما عن طريق التجارة او الهدايا التي تتبادلها الوفود الرسمية بين الجانبين كان عاملا مهما في انتشار انواع مميزة وفاخرة جدا من المنسوجات وخاصة الحريرية منها، وهذا بدوره ساعد على انتقال الخبرات الصناعية إلى مراكز الصناعة في الحواضر الإسلامية التي استوعبت تلك الخبرات وأنتجت منسوجات قيمة يصعب التفريق بينها وبين المنتجات الصينية سواء في المواد المستخدمة او في الأشكال والألوان والرسوم[3].

الزخارف والرسوم والألوان :

لقد ظهر الأثير الصيني واضحا في تركيز الصناع والحرفيين المسلمين وخصوصا في إيران في الأساليب الزخرفية والرسوم والألوان، وهو ما انتشر في كثير من الصناعات والفنون الإيرانية، ولم تئتثن منه حتى الكتب الأدبية وتجليدها، إذ حرص مؤلفوها وناسخوها على تزينها بالمصورات وفنون الزخرفة، وزاد هذا التأثير فترة الحكم المغولي، وبخاصة بعد ان استقدم الحكام المغول الكثير من النقاشين والحرفيين الصينيين ليزاولوا فنون الزخرفة والتصوير والرسم في قصورهم ومجالسهم، وقدموا لهم كل تشجيع ورعاية؛ مما جعلهم ينتجون الكثير من الروائع والإبداعات في هذا المجال[4].

ولقد تطور هذا التأثير في وقت لاحق في البلاد الإسلامية كالعراق وبلاد الشام ومصر، وفيها حاكى الصناع والحرفيون المسلمون كل النماذج والأساليب الصينية في فن التصوير، سواء ما كان على الفخار (البورسيلين) او على الخزف او على المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية او على السجاجيد، وقد استُخدمت فيها الألوان والتعابير والمواد التي اعتاد الصينيون على استعمالها واستخدامها في كل صناعاتهم وفنونهم[5].

الأحجار الكريمة :

ومما استفاده المسلمون أيضا من الصناعات الصينية صناعة الحجار الكريمة والمعادن النفيسة التي كثرت مكامنها في بحار الشرق وأرضه، مثل الياقوت والمرجان واللؤلؤ والألماس، إلى جانب الذهب والفضة وغيرها من المعادن المستخدمة في صناعة الحلي. كما استفاد الصناع والحرفيون المسلمون من خبرات الصينيين

---

[1] أسرة يوان (1368–1271م) : أسرة مغولية حكمت الصين قرن من الزمان اسسها قوبيلاي خان_ سيرد ذكره بعد قليل–، وكانوا يتميزون بالقوة العسكرية لكنهم افتقروا للخبرة البيروقراطية وفن إدارة البلاد، واعتمدوا في حكمهم على خبرات الأجانب من الأجناس المختلفة فيما لم يستعينوا بالصينيين إلا في الوظائف الدنيا. للمزيد فضلا انظر : هيلدا هو خام : تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف كيلاني، المجلس العلى للثقافة، القاهرة 2002، صـ239.

[2] هيلد هو خام : تاريخ الصين، صـ242.

[3] بدر الدين الصيني: العلاقات بين العرب والصين، صـ123، 124.

[4] زكي محمد حسن : الصين وفنون الإسلام ، صـ22، 23.

[5] زكي محمد حسن، المرجع السابق، صـ39.

في الزخرفة والتشكيل والرسم والتطعيم في صناعاتهم المعدنية المختلفة، وبخاصة في صناعة الأدوات الحربية من سيوف وخناجر ودروع، وكذلك في صناعة الأدوات المنزلية والأثاث والصناعات الزجاجية[1]

المبحث الثالث : تأثيرات المسلمين في العمارة والفنون :

أولا : المساجد :

المساجد هي بيوت الله تعالى في الأرض و هي محط انظار كل مؤمن وأولى مطالبه في كل مكان حل فيه. وقد ارتبط وجود المسجد بوجود المسلمين، فأينما وجد مسلمون فلابد من وجود مسجد يؤدون فيه صلواتهم وينقطعون فيه للعبادة والصلاة والصلة مع ربهم.

وكانت المساجد في الصين تمثل للمسلمين الصينيين مراكز اجتماعية ودينية تحافظ على حقوقهم وسط مجتمع الصين ، ولولا هذه المساجد لتقلص دور المسلمين و الإسلام في الصين ومحيت آثارهم هناك ولكن الله يريدهم باقين أحياء رغم دوران الأفلاك عليهم ، فأصبحت هذه المساجد عند المسلمين الصينيين أركانا ركينة وحصونا حصينة يلجئون إليها في حل مشكلاتهم الاجتماعية، وعقد مسائلهم الدينية.

وقد مرت المساجد في الصين بمرحلتين **الأولى** هي مرحلة دخول الإسلام وانتشاره في مناطق الصين المختلفة، حيث كان العرب القادمون يتولون مهمة إنشاء المساجد في اماكن تجمعاتهم وسكنهم، وقد غلب هذه المساجد الطابع العربي الأصيل، من حيث نظام البناء، وتزيين المسجد بالآيات القرآنية وليس أدل على ذلك من مسجد "هوايشنغ" وكذلك مسجد " تشينغجينغ" " الأصحاب" في مدينة " تشوانتشو" ، وبالإضافة إلى مسجد "قنغهوانغ" " العنقاء" بمدينة "هانغتشو" .

أما **المرحلة الثانية** فتبدأ مع بداية عصر اسرة "مينغ " (1368– 1644م) ، حيث بدأ التأثير الصيني يظهر على المسلمين في مأكلهم ومشربهم وامور حياتهم وأشكال مساجدهم؛ نتيجة لما تعرض له المسلمون من ضغوط اضطرتهم للانخراط في المجتمع الصيني واعتياد عاداته بما لا يخالف الإسلام فبنى المسلمون مساجدهم بأسلوب المعابد الصينية حتى يمنحوها هيبة وجلالا في قلوب الصينيين فلا يمسوها بسوء.وقد كان هذا التصرف من المسلمين حُسن صنيع في وقت كانت تعصف بالإسلام في الصين أخطارا كادت تقضي عليه.

اما اليوم فقد تجاوز عدد المساجد في الصين 40000 أربعين ألف مسجد تجمع بين الطرازين العربي والصيني، لكن تبقى المساجد القديمة والتي صنفت ضمن الآثار التاريخية التي تشرف عليها الحكومة الصينية، هي ما تحظى باهتمام المسلمين داخل الصين وخارجها فيتوافدون إليها من كل فج عميق.

وهنا سأخذ مثالين لبعض هذه المساجد اعرض فيها سريعا نظام البناء العربي الواضح، ثم أعقب بعدها بنمكاذج تأثير العمارة الإسلايمة في البناء الصيني التقليدي للمساجد.

- **مسجد "هوايشنغ " :**

ويقع هذا المسجد في مدينة قوانغتشو في جنوب الصين و تذكر المصادر التاريخية الصينية أنه اول مسجد بُني في الصين، ومعنى "هوايشنغ" أي" الحنين إلى النبي" أو " الشوق إلى النبي" حيث تقول الروايات أن بعض الصحابة أو التابعين ممن قدم إلى الصين قد بناه وأطلق عليه هذا الاسم تعبيرا لشدة شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم. ويتميز هذا المسجد بمئذنته العالية التي مازالت إلى اليوم دليل واضح على الوجود العربي القديم في الصين.

---

[1] سونج كيونج كون: الإسلام في الصين، صـ250.

وتتجلى قيمة مسجد "هوايشنغ" في عراقة تاريخه وضخامة بناءه المتميز بأسلوب العمارة العربي، منارة اسطوانية الشكل ترتفع عن أديم الأرض 36 مترا وتبدو كأنها شعلة تناطح السحاب، حيث تتكون من جزأين الأسفل يمثل البدن والأعلى يمثل فتيل الشعلة، اما جدرانه المبنية من الطوب فتتكون من طبقتين داخلية وخارجية حُشر بينهما التراب لتقوية الجدران. وتختلف المنارة عن الباغودات الشائعة في الصين اختلافا تاما من حيث شكلها وتركيبها على حد سواء، فهي منارة بُنيت على الطراز الإسلامي البحت. أما قاعة الصلاة والتي أُعيد بناؤها عام1935، فهي كبيرة المساحة حسنة الإضاءة مميزة بخصائص القصور التقليدية الصينية أيضا.[1]

مسجد " تشينغجينغ" (الأصحاب) :

مسجد كبير يشغل مساحة تقدر بهكتار واحد، ويتكون من ثلاثة مبان رئيسية هي قاعة الصلاة وقاعة الدعوة والبوابة. وقد بُنيت قاعة الصلاة بأحجار الجرانيت البيضاء المختلفة الأحجام وهي تشغل مساحة قدرها 600 متر مربع ، وعلى جدرانها نقوش من الايات القرىنية وعلى العتبة العليا لباب القاعة ثلاثة سطور من النقوش تشمل الآيات 125–127 من سورة البقرة، أما بوابة المسجد فيبلغ ارتفاعها عشرين مترا وعرضها خمسة أمتار. وهي مبنية من الجرانيت الأزرق الضارب إلى البياض، وتبدو عتبتها العليا على شكل عقد مخمس وقد قيل أن هذا النوع من الأشكال المعمارية قد نُقل عن مثيله في دمشق[2].

مظاهر تأثيرات الفن المعماري العربي:

بعد ذكر المثالين السابقين نعرج سريعا لبعض مظاهر تأثير الفن المعماري الإسلامي في نظيره الصيني والتي تتمثل في :

1- كانت معظم الباغودات الطوبية في الصين قبل دخول الإسلام مربعة او مسدسة أو مثمنة الأركان، وتخلو من السلالم الداخلية. غير ان منارة مسجد هوايشنغ بدت على شكل اسطوانة وتتكون جدرانها من طبقتين، وبداخلها سلمان لولبيان متقابلان يبلغ درجات كليهما 154 درجة، وهذا التركيب أثر في الباغودات المبنية في الصين فيما بعد ؛ فصار لأغلبيتها سلالم في داخلها.
2- عرفت بلاد العرب بكفاءتها في هندسة البناء الحجري منذ القدم. وكما هو معروف ان الحضارة العربية حضارة حجرية أما الحضارة الصينية فهي حضارة خشبية؛ لذا فوجود مسجد تشينغجينغ بهذا البناء الحجري الأنيق دليل كبير على مدى تأثير الفن المعماري العربي الإسلامي.
3- لقد كانت أشكال الأبواب النوافذ في الصين قبل دخول الإسلام رتيبة نسبيا لتكونها من الألواح الخشبية المستقيمة ليس غير، اما مثيلاتها في المباني الإسلامية الطراز فهي متنوعة الأشكال زاهية الألوان. فبوابة مسجد تشينغجينغ مثلا : تتربع على قطعة مستطيلة من الأرض وتنقسم إلى جزأين، يسمى أحدهما "المدخل الخارجي" المفتوح، والأخر " المدخل الداخلي" المغلق ويتكونان من أربعة عقود خوخية الشكل وتوين العقدين الأول والثاني نقوش جميلة من الصخور الخضراء، ويتباعد العقدان الثالث والرابع أحدهما عن الأخر لوجود ممر بينهما. وهذا النوع من البوابات اللإسلامية الطراز المتداخلة العقود قد ترك أثره في الفن المعماري الصيني[3].

---

[1] زيارة ميدانية للباحث.

[2] محمود يوسف لي هواين : المساجد في الصين،دار الهلال الأزرق للنشر والتوزيع، هونغ كونغ،الطبعة الأولى، 2003،صـ20.

[3] محمود يوسف لي هواين: المساجد في الصين، صـ74.

4- تشتهر المباني الإسلامية في الصين بالقباب وهو طراز خاص بها دون المباني الأخرى وتنتشر المباني المقببة في تجمعات المسلمين ، لذا فهي طابع مميز لهم، وتشتهر مقاطعة نينغشيا في شمال غرب الصين بهذا المر حيث يمكن للزائر ان يلاحظ المباني المقبة التي لا تقتصر على المساجد فقط وإنما تشمل أيضا المتاجر الإسلامية والمزارات وقبور الأولياء المتصوفة[1].

وجملة القول أن الفن المعماري الإسلامي كان مثار الإعجاب وسط الصينيين بميزته الخاصة وان دخوله إلى الصين قد قدم برهانا على التبادل الثقافي العربي الصيني عبر التاريخ، كما أسهم بقسط معين في تنمية الفن المعماري الصيني أيضا. وهذا هو سر غدراج الحكومات الشعبية من مختلف المستويات الكثير من المباني الإسلامية الطراز في قائمة أهم الآثار المحمية.

ثانيا : دور المعماري اختيار الدين في بناء عاصمة المغول :

يعتبر المعماري اختيار الدين من أصل عربي ، وقد هاجرت أسرته إلى الصين في وقت غير معروف ، وقد عاش في الصين في أوائل عهد أسرة يوان ، وظهرت مواهبه في الهندسة المعمارية ، فأنعم عليه البلاط بمنصب هام وذلك قبل تتويج قوبيلاي خان إمبراطورا عاما . كما رأس إدارة الهندسة المعمارية التي أطلق عليها اسم "شايدل" وهي كلمة مغولية تعني "خيمة من القصب" ، وإدارة "شايدل" هي هيئة خاصة بإدارة الهندسة المعمارية والعمال التجاريين ، وقد تولى اختيار الدين منصب مدير هذه الهيئة عام 1266م . وأصبح يعامل معاملة وزير من الدرجة الثالثة[2] .

وفي عام 1267 تم تكليف اختيار الدين بإعادة التخطيط لبناء مدينة جديدة بدلا من المدينة القديمة "تشنغدو" التي أحرقها المغول عندما فتحوها وظلت الحرائق فيها شهرا كاملا تحولت بعدها إلى أنقاض .

ولتعمير المدينة العامة فقد خطط الشوارع والأزقة لإقامة المباني المتلاصقة على جوانبها ، على طريقة المدن الصينية الأخرى التي أنشئت قبل عهد أسرة يوان . وجعل على كل جانب من جوانب المدينة الكبيرة المربعة المسورة ثلاث بوابات ، وفي داخلها تتقاطع الشوارع العريضة المستقيمة ، وفي وسطها تتقدم القصور الإمبراطورية ، وخلفها الأسواق التجارية ، وعلى يسارها معبد "تايمياو" (معبد تقديم القرابين لأسلاف الإمبراطور) وقد انقسمت المدينة إلى 50 حارة ، ولكل منها اسم خاص[3] .

ويبدوا أن اختيار الدين قد تأثر في تصميمه للمدينة بالأسلوب المعماري الإسلامي فمثلا موقع برجي الجرس والطبل في المدينة يبدو كأنه موقع لبرج مشاهدة الهلال في المساجد الخاصة بالمسلمين ، كما أن اختلاف عدد بوابات المدينة ربما تأثر بالأسلوب المعماري العربي الذي لا يشدد على التناسق بين المباني .

وجملة القول أن اختيار الدين لم ينقل نظام البناء المعماري التقليدي حرفيا ، ولم يقلده آليا في مجرى تصميم مدينة (دادو) ، بل طوره وأدخل عليه أساليب جديدة في مجرى وراثته إياه[4].

---

[1] تعتبر نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوي أكبر تجمع للمسلمين في الصين وتنتشر في شوارعها اللافتات العربية والمباني ذات الطراز العربي وهذا امر توليه حكومة الصين اهتماما بالغافي الوقت الحاضر. الباحث.

[2] إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ط 1، 1991صـ 150.

([3]) M. Klaproth: Description de la chime sous le regne de la Dynostie mongole: Collacted on reprinted by Fuat Sezgin. Institate for history of arabic. Islamic science. Frank Furt Universty, 1996 , P.345.

[4] إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين ، ص 153 .

لقد بذل اختيار الدين كل ما لديه من الحكمة والقوة في تعمير المدينة ، وقد أراد العمال والحرفيون أن يقيموا تمثالا له أمام مقبرته تخليدا لمآثره الجليلة بيد أنهم عدلوا عن ذلك احتراما للتقاليد الإسلامية. لكن من مآثره العظيمة تظل نصبا تذكاريا خالدا في قلوب الصينيين[1]

استفادة الصينيين من علمي الفلك والرياضيات عند المسلمين :

كانت ميادين علم الفلك وأدواته واختراعاته أكثر ما استفاده الصينيون من مؤثرات الحضارة الإسلامية، وهي المؤثرات الوحيدة التي شهدت اتجاها واحدا في التأثير، أي من المسلمين إلى الصينيين. ومن المؤكد أن ولع الصينين واهتمامهم بهذا العالم منذ القدم وتعلقهم به في كثير من شؤون حياتهم من ناحية، وأسبقية المسلمين في ميادين هذا العلم وما قام به علماؤهم من جهود كبيرة في تقدمة وتطوير ادواته والوصول إلى مخترعاته من ناحية اخرى؛ هو مادفع الصينيين بكل مستوياتهم إلى الاستفادة من التراث الإسلامي في هذا الميدان اعترافا بسبق المسلمين فيه.

لقد حرص الصينيون منذ فترة مبكرة في علاقاتهم بالمسلمين على الاستفادة من تطور علم الفلك في الحضارة الإسلامية، ومن ذلك ما ذكرته المصادر الصينية من وصول شخصية مسلمة عرفت في تلك المصادر باسم" ما يي تسه ma ei tse" (921-م1005/ 309-396هـ) إلى الصين سنة 963م/ 352هـ بدعوة من الإمبراطور الصيني للمشاركة في وضع كتاب عن التقاويم. وقد انجز هذا العالم المسلم المهمة التي وكلت إليه بعد سنتين من العمل الدؤوب،ووضع تقويما جديدا للصين يعتمد على التقويم الهجري عرف باسم "تقويم ينجيتيان". وقد نال هذا التقويم إعجاب الإمبراطور فمنح هذا العالم ألقاب الشرف وجعله رقيبا في المرصد الفلكي الإمبراطوري. وكان من جهود هذا العالم المسلم أيضا نقله عددا من المؤلفات الإسلامية في الفلك وكثيرا من الخبرات والمعارف الإسلامية في هذا العلم إلى اللغة الصينية. وكان مما نقله نظام الأسبوع وطريقة حساب مواعيد البروج ومواقعها ومواعيد الخسوف والكسوف، وحساب مدارات النجوم الخمسة(المشتري، الزهرة، عطارد، المريخ، وزحل)، وهي الأساس في علم التنجيم الصيني[2].

ونتيجة هذا التأثير الإسلامي المبكر استخدم الصينيون المعارف الفلكية الإسلامية والأسماء العربية للبروج والأفلاك في موسوعة العلوم العسكرية الصينية، وكان هذا بأمر من الإمبراطور "تشينج لي cheng li" (1041-1048م/ 433-440هـ) احد أباطرة أسرة سونغ، واستمر استخدام هذه المعارف حتي وقت متاخر من القرن العشرين[3].

وما أن جاء عصر أسرة يوان حتى قدم المسلمون الصينيون إسهامات هامة في ميدان الأبحاث الفلكية والتقويمية والحساب ولعل أبرز هؤلاء :

الفلكي المسلم "جمال الدين" :

كان جمال الدين أحد العلماء البارزين في علم الفلك ويرى بعض المؤرخين أن موطنه الأصلي كان "إيران" وأنه اشترك مع العالم الكبير "نصير الدين الطوسي" في إنشاء مرصد مراغة بأمر من هولاكو خان . وقد أرسله هولاكو مع غيره من العلماء المسلمين إلى الصين حيث كان يحكمها أخوه "قوبيلاي خان" . وقد وصل

---

[1] محمود يوسف لي هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، ص 30 .

[2] علي لي تشين: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، العدد38،السنة التاسعة عشر،ذو الحجة 1420هـ/ مارس 2000م،صـ154.، إبراهيم فنغ جينغ يوان: الإسلام في الصين،صـ132.

[3] ابراهيم فنغ : الإسلام في الصين، صـ132، 133.

جمال الدين إلى الصين عام 1260م حاملا معه كتاب "جامع المبادئ والغايات" للفلكي المسلم العربي "علي أبو حسن المراكشي" . وقد كلف قوبيلاي خان الفلكي جمال الدين بوضع التقاويم الفلكية الإسلامية لنشرها في الصين ، ومساعدة المسلمين الصينيين في متابعة حياتهم اليومية[1] .

وقد نجح جمال الدين في وضع نظام التقويم الصيني معتمدا على نظام التقويم الهجري ، وبأمر من الإمبراطور قوبيلاي خان ظل هذا التقويم يستخدم في كافة أنحاء الصين 14 سنة متتالية . هذا وقد ترك أثره في وضع التقويم الصيني على امتداد الفترات الطويلة التي بدأت من أسرة يوان وانتهت بأسرة مينغ (1644-1911م) [2] .

وأدخل جمال الدين نظام التقييم الفلكي الإسلامي العربي الذي أساسه 12 برجا و 360 درجة في تقاويمه بدلا من نظام 28 برجا الذي كان الصينيون يتبعونه في تقاويمهم . ونتيجة لكل هذه الجهود التي بذلها جمال الدين وزملائه فقد أمر الإمبراطور قوبيلاي خان إقامة مرصد فلكي إسلامي في الصين وعين جمال الدين مديرا له وقد تم إنشاء المرصد الفلكي سنة 1271م في عاصمة المغول الأولى (في إقليم شيزلين جول بمنغوليا الداخلية الصينية حاليا) وتولى جمال الدين إدارته وواصل أبحاثه في علم الفلك على أرض الصين وكان يعاونه في ذلك مجموعة من العلماء الفلكيين أمثال جمال الدين وشمس الدين[3] .

وفي الفترة ما بين عامي (1288 – 1300م) اشترك جمال الدين مع "يوي منغ لونغ" وغيره من العلماء في تأليف "موسوعة أسرة يوان"التي اشتملت على 755مجلدا وضمت أوفر الموضوعات وأكثر الصور الملونة نوعية . ومن المؤسف أن هذه الموسوعة الكبيرة اندثرت منذ زمن بعيد ، ولم يبق منها بمرور الزمن إلا القليل من موضوعاتها[4] .

العالم الفلكي الكبير "قوة شو جينغ :

إضافة إلى كل الجهود التي بذلت في صناعة الأجهزة الفلكية والرصد الفلكي في الصين ، فقد استطاع "قوة شو جينغ" (1231 – 1316م) الفلكي الصيني الشهير أن يبتكر جهاز الرصد المبسط ، وغيره من الأجهزة الفلكية الجديدة في عام 1276م .

وقد عملت الأجهزة التي أوجدها "قوة شو جينغ" في المراصد مدة مائة سنة، وفاقت جميع ما تقدمها في العصور الماضية من الأجهزة المماثلة في دقة عملها .

وكان "جهاز الرصد المبسط" الذي يجمع بين الدقة والكمال والبساطة قد ظهر قبل الجهاز الاستوائي المماثل الذي وضعه الفلكي الدنمركي "تيكو براهي Brahe Tycho" 1546 – 1601م بثلاثة قرون .

لقد كان للتقويم العربي فضل عظيم في تحسين التقويم الصيني . فالتقويم الذي أوجده "قوة شوجينغ" قد استوعب كل ما حققه علماء الفلك السابقون من نجاحات . وقد مضت عليه ثلاثة أو أربعة قرون ابتداء من عهد يوان وحتى عهد منغ دون أن يلاحظ فيه أي خطأ . ولم يكن هناك أي تقويم أدق منه قبل تبني التقويم الإفرنجي[5] .

---

[1] لي تشي شونغ : الصين والعالم العربي ، مقال نشر في مجلة الصين اليوم عدد ديسمبر 1999م ، ص 53 .

[2] محمود يوسف لي هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، ص 15 .

[3] لي تشي تشونغ : الصين والعالم العربي ، ص 51 .

[4] محمود يوسف لي هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، ص 17 .

[5] قوة ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ص 62.

أما فيما يخص **علم الحساب** فقد انتقل لوح العد والأعداد المكتوبة المستعملة في بلاد العرب إلى الصين على أيدي العلماء المسلمين في عهد أسرة مينغ، وقد دبج الرياضي الصيني المعاصر " لي يان" مقالة بعنوان :" العلاقة بين الإسلام والحساب الصيني" ألقى فيها مزيدا من الضوء على لوح العد مشيرا إلى أنه صالح للضرب والقسمة ومفيد كذلك لاستخراج الجذر. وفي الوقت الذي انتقل فيه " التقويم الهجري" إلى الصين انتقل إليها لوح العد أيضا[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد تُرجم إلى الصينية مؤلفات علماء المسلمين في علوم الرياضيات، حيث نجد في قوائم المكتبة الملكية لأسرة يوان كتبا إسلامية في تلك العلوم، مثل : كتاب (السفينة الهندسية) في (17)جزءا، وكتاب (طريق حساب السطوح) في (15) جزءا ، وكتاب (الطرق الحسابية)، وكتاب (مبادئ الهندسة المسطحة) في (13)جزءا، وهو مؤلف من مؤلفات إقليدس التي ترجمها العرب المسلمون إلى العربية ومثله كتاب (المجسطي) لبطليموس[2].

الطب العربي وتأثيره

في خزانة الكتب القديمة في دار الكتب الصينية بقايا موسوعة طبية اسمها " وصفات هوي هوي" أي "الوصفات الطبية عند المسلمين"[3]، وكان مكونا مكن ستة وثلاثين جزءا لم يبق منهم إلا أربعة أجزاء ، ورد فيها اسماء مؤلفات الطب عند المسلمين والتي ترجمتإلى الصينية على يد الطباء المسلمين الذين استقروا في الصين في فترات مختلفة، كما اشتملت هذه الموسوعة على 450 وصفة طبية وما يزيد على 232 نوعا من العقاقير الطبية[4].

في النصف الثاني من القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي) انشئت نتيجة لقوة التأثير الإسلامي في المجتمع الصيني في عهد أسر يوان دار لصناعة الأدوية اطلق عليها اسم(دار النعمة)وتولى إدارتها والإشراف عليها طبيب عربي مسلم اسمه يوسف وعمل إلى جانبه عدد من الأطباء المسلمين. وفي عام 1292م / 691هـ افتتح لهذه الدار فرعان : أحدهما في العاصمة المغولية " خان بالق " وسمي (دار الهويين للأدوية والمعالجة) والثاني في إقليم منغوليا في الشمال الشرقي من خان بالق في مدينة "قراقورم" العاصمة القديمة للمغول وسمي (مكتب قراقورم للطب الإسلامي)[5].

---

[1] ابراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين، صـ139.

[2] علي لي تشين: آثار العرب، صـ160.

[3] بداية من عصر أسرة يوان أطلق على المسلين الصينيين ذوي الأصول العربية والفارسية لقب"هوي هوي"ومازال المسلمون إلى اليوم يطلق عليهم اسم "هوي" و"هوي" الان هي اكبر قومية مسلمة في القوميات العشر المسلمة في الصين. الباحث.

[4] علي لي تشين : آثار العرب ، ص195.

[5] جانغ هو : المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط، ندوة الدراسات العمانية، مسقط،نوفمبر 1980،صـ45.

وفيما يتعلق بالعقاقير والأعشاب الطبية ورد في المصادر الصينية معلومات عن عدد من التجار المسلمين الذين تاجروا بها غما بالتجوال او بفتح صيدليات في العاصمة القديمة (تشانغآن) وان هؤلاء التجار كانوا يمدون الصينيين باحتياجاتهم من العقاقير والأدوية[1].

ومما اثبتته المصادر الصينية من مآثر للطب الإسلامي على المجتمع الصيني، أسلوب العلاج الذي تميز به الأطباء المسلمون وكان يعتمد على تصنيع الأدوية على هيئة أقراص او مساحيق او معاجين بدلا من الأسلوب الصيني الذي كان يعتمد على مزج الأدوية بالماء وغليها على النار لتصبح على هيئة أشربة، وأصبح ذلك الأسلوب شائعا في الطب الصيني حتى اليوم.

كذلك اعتمد الطب الصيني على أسلوب الطب الإسلامي في تقسيم الحالة المرضية إلى عدة أمراض بدلا من الأسلوب الصيني الذي يتعامل مع الحالة على انها نوع واحد "طب عام" وبدءا من عام 1078م/471هـ استخدم الصينيون ذلك التقسيم في معالجة مختلف انواع المراض التي كانت معروفة وقتها[2].

كذلك استفاد الصينيون من خبرات المسلمين في صناعة العطور والمساحيق ومواد الزينة واستخداماتها واستفادوا منهم اسلوب التقطير الذي استخدمه السلمون للحصول على زيوت وعصارات كثر من العقاقير والأدوية والمستحضرات[3].

والأمثلة كثيرة في تأثير الطب العربي في الصين لكن لا يتسع المجال لذكرها.

الخاتمة :

كانت هذه بعض نماذج التأثير والتأثر بين الحضارتين الإسلامية والصينية، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ثراء هاتين الحضارتين وأنهما على امتداد تاريخهما الطويل كانتا مثالا للتناغم والتواصل والأخذ والعطاء وهو مثال يحتذى به بين الأمم.

كذلك كان الحوار بين الحضارتين حوار نموذجي قائم على الحكمة وتبادل النفع والرؤى والقيم المشتركة والتعاون والتوازن بما يحقق الرقي والتقدم وبما فيه الخير للفرد والمجتمع .

وقد رأينا كم الانسجام الذي ساد بين الحضارتين الإسلامية والصينية، ولولا ما تتسم به الحضارة الصينية من حذر وتوجس في التعامل مع الخارج والميل الدائم للانعزال ، لرأينا من مظاهر التأثير والتأثر مالا يمكن جمعه بين دفتي كتاب.

والحقيقة انه لولا الالتزام بالقواعد المنصوص عليها في كتابة هذا البحث لكان بوسعنا التوسع في هذا البحث فقد حاولت قدر جهدي اختصار ما يمكن اختصاره وعز علي كثيرا ترك معلومات قيمة كان من الواجب ذكرها في ثنايا البحث، ولكن منعني عنها الخوف من الإطالة . لقد امتدت عوامل التأثير والتأثر بين الحضارتين الإسلامية والصينية إلى شتى مناحي الحياة بداية بالعلاقات الإنسانية والنسب والمصاهرة ومرورا بالعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والأدبية وانتهاءا بالناحية والإدارية.

وعلى كل حال فرغم ما كُتب وما يمكن أن يكتب عن العلاقة بين الصين والعرب ستظل الصين ذلك التنين الغامض الذي لم يكشف عن نفسه لأحد والذي دائما ما يعطيك على قدر ما يريد هو، وإذا احتاج إليك فإنه يقترب ببطء ويحصل على ما يريد ثم يعود من حيث أتى دون أن تشعر أو تحس به. وستبقى الحضارة

---

[1] ابراهيم فنغ جين يوان : الاسلام في الصين ، صـ145، 146.

[2] علي لي تشين: آثار العرب ومآثرهم في الصين، صـ158.

[3] علي لي تشين : آثار العرب، صـ159.

الإسلامية حضارة عظيمة تؤثر دائما في الحضارات المجاورة لها ولها عليهم أياد بيضاء يذكرها أبنا تلك الحضارات انفسهم ويحمدون لها انها كانت سببا في الحفاظ على الحضارة الإنسانية و إثراءها على مر التاريخ.

الملاحق :

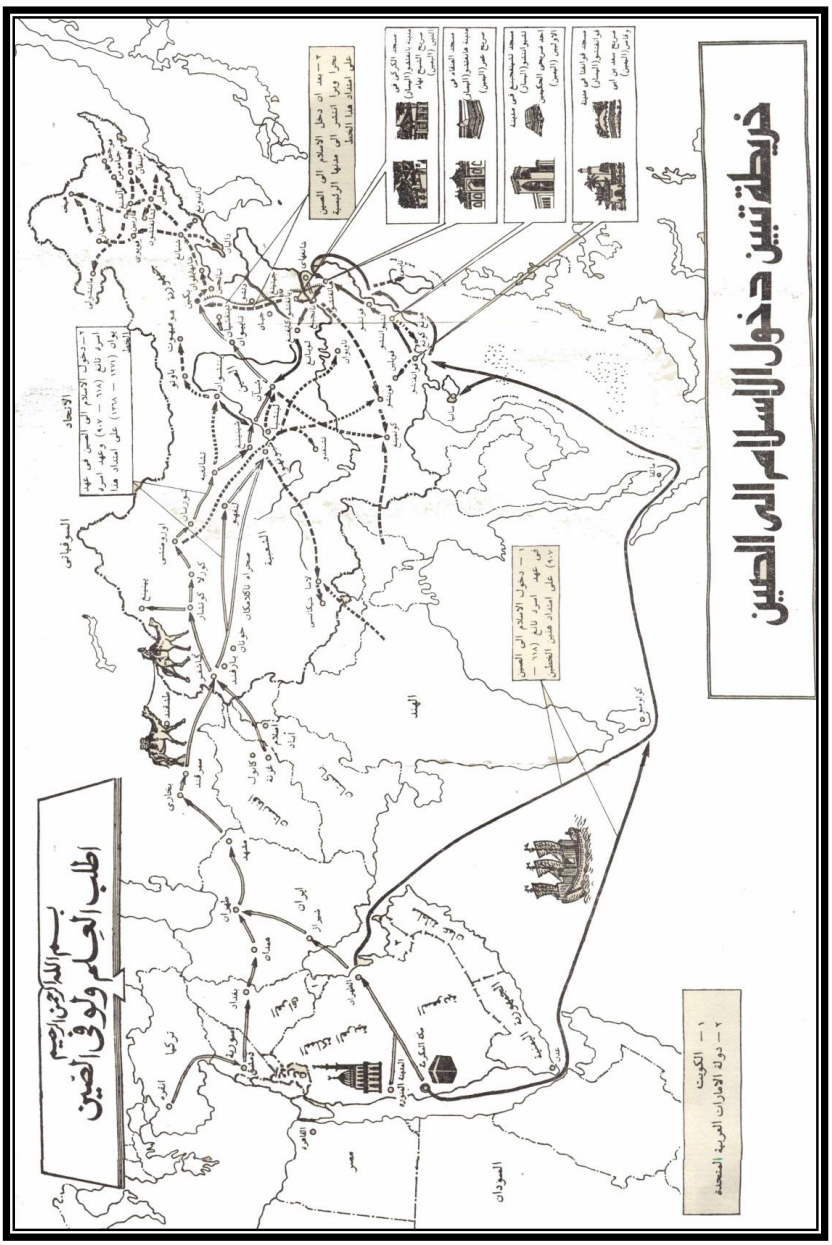

مجموعة من المنحوتات والخزفيات الصينية وهي نموذج على تأثير الوجود الإسلامي في الصين

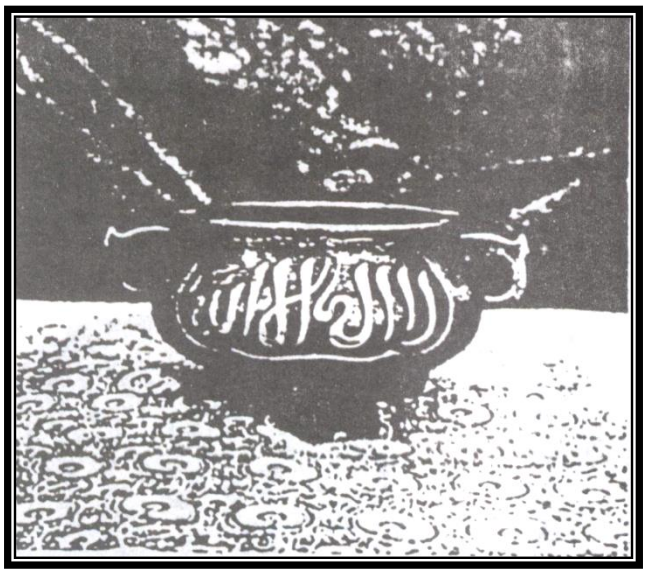

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر العربية :

(1)ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م) : الكامل في التاريخ، دار صادر ، بيروت، 1979، الجزء 5، صـ405، صـ440، صـ445.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الخامسة ، 1384هـ/1965م، جـ 4 ، ص 172 – 173.

(3) الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1037م)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياريو حسن كامل الصيرفي، القاهرة- 1379هـ.
(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1990، ج4.

المراجع الأجنبية المعربة :

(1)إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ط 1، 1991.
(2) بارتولد فاسيلي فلاديمير وفتش : تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية ، صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ط1، 1981
(3) بدر الدين حي الصيني: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، 1394هـ/11974م.
(4) بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1370ه/1950م.
(5) جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
(6) شيو قوان : جغرافيا الصين، ترجمة محمد أبو جراد، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، 1987م،
(7) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، المركز العربي للمعلومات، بكين، 2004.
(8) محمود يوسف لي هوا ين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين،دار الهلال الأزرق، هونغ كونغ، الطبعة الأولى، 2003،
(9) محمود يوسف لي هواين : المساجد في الصين،دار الهلال الأزرق للنشر والتوزيع، هونغ كونغ،الطبعة الأولى، 2003،
(10) عبد الرحمن ناجونج : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين،1978،
(11) هيلدا هو خام : تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف كيلاني، المجلس العلى للثقافة، القاهرة 2002.

الرسائل الجامعية :

(1) سونج كيونج كون: الإسلام في الصين خلال القرنين الأول والثاني الهجري، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ، 1409هـ – 1988م.

الدوريات والمجلات العلمية :

(1) جانغ هو : المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط، ندوة الدراسات العمانية، مسقط،نوفمبر 1980.
(2) جعفر كرار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين منذ ظهور الإسلام وحتى اوائل القرن العشرين، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد 92، رمضان 1419/يناير 1999.
(3) علي لي تشين: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، العدد38،السنة التاسعة عشر،ذو الحجة 1420ه/ مارس 2000م.
(4) قوة ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيا مين ، نشر مجلة الصين اليوم عدد سبتمبر 2003م
(5)لي تشي تشونغ : الصين والعالم العربي ، مقال منشور في مجلة الصين اليوم ، عدد ديسمبر ، 1999م

المراجع الأجنبية :

Marshal BromHall: Islam in China Neglected Problem, London, Morgan and Scoots, 1910, p. 13 .

M. Klaproth: Description de la chime sous le regne de la Dynostie mongole:(1)
Collacted on reprinted by Fuat Sezgin. Institate for history of arabic. Islamic science. Frank Furt Universty, 1996 , P.345.

Charles O. Hucker: China's Imperial Past, Stanford University press Stanford, California, P.291.

M. Gabriel Dveria: Origine DE L, Islamisme En Chine, Collected and Reprinted by Fuat Sazgin, Iartitata for mistory of Arabic-Islamic Scince from K Futd University, 1996.

Jacques Geraent: Ahistory of china Civiliation, Secand Edition.

المصادر الصينية :

198 卷 仁寿编《旧唐书》تاريخ تانغ القديم ، الجزء الثاني، صـ198.